وقف مركز مكة العالمي للهدى القرآني
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

الهدايات التربوية في آيات تزكية النفوس

اسم الباحث/ـة

د/ محمد بن سعيد بن عبد الله بافيل

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث:

هدف البحث إلى بيان مكانة تزكية النفوس في التربية الإسلامية، والتعرف على الهدايات التربوية في آيات تزكية النفوس. واتبع الباحث المنهج الوصفي وفق المدخل الاستنباطي لاستخراج الهدايات التربوية من النصوص القرآنية، **وتوصل البحث إلى عدة نتائج**، من أهمها: أن القرآن الكريم المنهاج الرباني الأكمل في بناء أخلاق الإنسان، والغاية من إنزال كلام الله تزكية النفوس وتطهيرها من المعاصي والآثام، وزكاة النفوس محضُ فضلٍ من الله ورحمته، وهي الوظيفة الجليلة لأنبياء الله ورسله، والله تعالى غنيٌّ عن صلاح الخلق واستقامتهم، وأن زكاة النفس سبب للهداية والثبات على الحق، وأعظم مقاصد الشرائع التعبدية السموّ بالنفوس وارتقاؤها في منازل العبودية لله، وتخلية القلوب من الدخن يسبق تحليتها وتزكيتها بنور الوحي.

ومن أبرز توصيات البحث: وجوب عناية المربّين والمصلحين بتزكية النفوس في الخطاب التربوي والدعوي المعاصر، وضرورة تكثيف المؤسسات التربوية والتعليمية الجهود والبرامج في أهداف تربية القلوب وتزكية النفوس، والحاجة إلى تنويع الوسائل وتحديث الأساليب في تحقيق هذه الأهداف السامية.

الكلمات المفتاحية: الهدايات التربوية، آيات، تزكية النفوس.

مقدمة البحث

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فقد أنزل الله تعالى كتابه المبين تبياناً وهدى للناس، كما قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) وأكد جل وعلا على أن الحياة الأقوم، والنعيم الأبقى، لا تتحقق للمسلم؛ إلا حين يجعل القرآن العظيم دستوراً له، ونبراساً وحكماً في كل الأحوال والأزمان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾. (٢) قال السعدي: "يخبر تعالى عن شرف القرآن وجلالته، وأنه ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ أي:

أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس، وأقومهم، وأهداهم في جميع أموره.﴿ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ من الواجبات والسنن، ﴿ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ أعده الله لهم في دار كرامته، لا يعلم وصفه إلا هو" (٣)

واهتداء المسلم بكتاب الله يشمل جميع الجوانب والمجالات؛ سواء منها العقدية، والتعبدية، والسلوكية، والاقتصادية، والاجتماعية، وغير ذلك.

والمنهج القرآني في تهذيب القلوب وتزكيتها أمثل المناهج وأعظمها وأصلحها، قال تعالى ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٤)

وتتجلى مكانة تزكية النفوس في التربية الإسلامية إذ جعلها الله تعالى الغاية

---

(١) سورة النحل: آية ٨٩.

(٢) سورة الإسراء: آية ٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص٤٥٤.

(٤) سورة الزمر: آية ٢٣.

من بعثة رسوله الخاتم صلى الله عليه وسلم: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ بِٱللَّهِ﴾.[1]

وقد ورد لفظ التزكية في القرآن الكريم في أكثر من خمسة وخمسين موضعا؛ بصيغ متعددة، مثل: يزكيهم، يزكيكم، زكّاها، تزكّى، الزكاة، أزكى، يتزكّى، زكيّا، زكيّة، وغيرها. والله تعالى أمر المؤمنين بدوام تزكية أنفسهم، ووصف من يقوم بتزكية نفسه، ويهتم بها بأنه من المفلحين، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [2].

وقد أقسم عز وجل أحد عشر قسماً على أهمية التزكية، وذلك في قوله: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾﴾. إلى قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [3].

وقد أوصى القياتي[4] بدراسة موضوع التزكية في القرآن الكريم والسنة المطهرة، فهو موضوع جدير بالدراسة الموسّعة. وأوصى محمد[5] بأن يهتم الدعاة بالدعوة إلى تزكية النفس لأن فيه إصلاح المجتمعات، وكذلك الأفراد.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة، ممثلة في سؤالها الرئيس: ما الهدايات التربوية في آيات تزكية النفوس؟

ويتفرع منه الأسئلة التالية:

١. ما مكانة تزكية النفوس في التربية الإسلامية؟

٢. ما الهدايات التربوية في آيات تزكية النفوس؟

---

[1] سورة الجمعة: آية ٢.

[2] سورة الأعلى: آية ١٤.

[3] سورة الشمس: آية ١-١٠.

[4] مقصد تزكية النفس الإنسانية في الشريعة الإسلامية، محمد أحمد القياتي، الجامعة الأسمرية الإسلامية، ٢٠١٣م، ص١٥٣.

[5] تزكية النفس من خلال نصوص القرآن والسنة، حنان محمد فضل المولى محمد، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدعوة الإسلامية، ٢٠١٩م، ص١٣٣.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى:

١-توضيح مكانة تزكية النفوس في التربية الإسلامية.

٢-التعرف على الهدايات التربوية في آيات تزكية النفوس.

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث فيما يلي:

١. وجوب العناية بأعمال القلوب وتزكية النفوس؛ فهي زكيزة الصلاح والفلاح.

٢. اشتمال القرآن الكريم على كثير من الهدايات، الدالة على عناية الإسلام بتزكية النفوس.

٣. مشاركة المعنيين بالتربية والتوجيه في النظر لهدايات آيات تزكية النفوس.

منهج البحث:

يقوم البحث على المنهج الاستنباطي، حيث يتم دراسة الآيات القرآنية الواردة في حدود البحث، ثم يجتهد الباحث في استنباط الهدايات التربوية في الآيات، وفق المنهجية المعتمدة في المدخل الاستنباطي، التي تحدد بأنها "ما يقوم به الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص؛ بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة"[١].

حدود البحث:

اقتصر البحث على بعض آيات تزكية النفس الواردة في كتاب الله تعالى، وهي كالتالي:

- قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾.[٢]

---

[١] المرشد في كتابة البحوث التربوية، عبد الله فوده، وآخرون، ص ٤٢

[٢] سورة البقرة: آية ١٢٩.

- قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ ﴾.(١)

- قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤ ﴾.(٢)

- قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٤٩ ﴾.(٣)

- قال تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣ ﴾.(٤)

- قال تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ ﴾.(٥)

- قال تعالى: ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢١ ﴾.(٦)

- قال تعالى: ﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦٓۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨ ﴾(٧).

- قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢ ﴾.(٨)

- قال تعالى: ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ ﴾.(٩)

---

(١) سورة البقرة: آية ١٥١.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٦٤.

(٣) سورة النساء: آية ٤٩.

(٤) سورة التوبة: آية ١٠٣.

(٥) سورة المؤمنون: آية ١-٤.

(٦) سورة النور: آية ٢١.

(٧) سورة فاطر: آية ١٨.

(٨) سورة الجمعة: آية ٢.

(٩) سورة عبس: آية ٣.

- قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾.[١]
- قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾.[٢]
- قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨﴾.[٣]

مصطلحات البحث:

١- مفهوم الهدايات لغة واصطلاحاً:

الهدايات لغة: جمع هداية، وهي من الهُدَى، و"الهداية: دلالةٌ بلُطف، ومنه الهديّة"[٤].والهُدى: الإرشاد والدلالة على الحق، "وهَديتُه" الطريق والبيتَ "هدايةٌ": عرّفته.[٥] والهدى ضدّ الضلال، قال الأزهري: "والهدى نقيض الضلالة".[٦]والهداية: البيان، يقال: هديته الطريق هداية، أي: تقدمته لأرشده، وكل متقدم لذلك هادٍ.[٧]

ومجمل الأقوال في معنى لفظ "الهداية" تدور حول معنى الإرشاد والدلالة[٨].

الهدايات اصطلاحاً: قال الجرجاني: "الهداية الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب، وقد يقال سلوك الطريق يوصل إلى المطلوب".[٩]. وقيل: "إن الهداية عند أهل الحق هي الدلالة على طريق من شأنه الإيصال، سواء حصل الوصول بالفعل في وقت الاهتداء، أو لم يحصل". [١٠]

---

[١] سورة عبس: آية ٧.
[٢] سورة الشمس: آية ٩.
[٣] سورة الليل: آية ١٨.
[٤] مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٥١٦.
[٥] مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ص٣٢٥.
[٦] تهذيب اللغة، محمد الأزهري، ص٣٧٥.
[٧] القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص١٣٤٥.
[٨] الهدايات القرآنية، دراسة تأصيلية، مجموعة مؤلفين، ص ٢٣.
[٩] التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ص٢١٥.
[١٠] تاج العروس من جواهر القاموس، محمد عبد الرزاق الحسيني، ص٩٥٢.

وهدايات القرآن يُراد بها: ما جاء في كتاب الله تعالى من دلالات، وإرشادات، يهتدي بها من وعاها، وعمل بها، فينال بها رضا الله تعالى، وسعادة الدنيا والآخرة.والقرآن الكريم يهدي المسلم لما هو أقوم، وما هو "أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس، وأقومهم، وأهداهم في جميع أموره"[١]

٢- مفهوم تزكية النفوس لغة واصطلاحاً:

التزكية لغة: أجمل ابن منظور في بيان مادة زكاة حين قال:" وأصل الزكاة في اللغة: الطهارة والنماء والبركة، والمدح هي زكا يزكو زكاء وزكو أو تزكية وزكاة، وتدل على معاني: المعنى الأول: النماء والزيادة والبركة، والمعنى الثاني: الطهارة، والمعنى الثالث: الصلاح والتقى".[٢] وقال ابن منظور: الزكاء هو النماء والرَّيْع، وكل شيء ينمو ويزداد فهو يزكو زكاءً، وأصل الزكاة في اللغة: الطهارة والنماء والبركة والمدح، وكلها استعمل في القرآن والسنة.[٣].

والزكاة في القرآن الكريم تدل على تزكية النفس وتنميتها بفعل الطاعات، وتطهيرها من الزلات والهفوات، وبها تستحق الأوصاف المحمودة في الدنيا، والأجر والثواب في الآخرة، فالله يزكي من شاء من خلقه، قال تعالى:﴿ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ﴾[٤]، وأي شرفٍ ورفعةٍ لمن يزكّيه الله تعالى، فهي أعلى الشهادات وأشرفها، وأصدقها وأنفعها. والنبي صلى الله عليه وسلم يزكّي المؤمنين، قال تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[٥]، والعبادة تزكي لكونها آلة التزكية وسببها، قال تعالى: ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ ﴿١٣﴾ ﴾[٦]،

---

[١] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص٤٥٤.
[٢] لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، ص ٣٥٨.
[٣] المرجع السابق، ص ٦٤.
[٤] سورة النساء: آية ٤٩.
[٥] سورة التوبة: آية ١٠٣.
[٦] سورة مريم: آية ١٣.

ويزكّي الشخص نفسه كما في قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ ﴾[1]، ويزكّي غيره بالثناء عليه، قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ۝٣٢ ﴾[2]

التزكية اصطلاحاً:

قال الطبري: "التزكية تطهير الناس من الشرك وعبادة الأوثان، وتنميتهم وتكثيرهم بطاعة الله".[3].أو هي: "التنمية والتطهير، والسمو بالنفس إلى بارئها، وإبعادها عن الشر، والمحافظة على فطرتها".

فيجتمع في بيان العلماء لمصطلح التزكية أنها تعني تطهير النفس وتنميتها؛ بفعل الخيرات والطاعات، واجتناب الشرور والسيئات.

النفس لغة: "يقال خرجت نفسه أي: روحه، والدم، يقال مالا نفس سائلة له أي لا دم، وذات الشيء وعينه، يقال: جاء هو نفسه أو بنفسه، والعين يقال نفسه بنفس؛ أي أصبته بعين".[4]

النفس اصطلاحاً: "هي الجوهر البخاري اللطيف، الحامل لقوة الحياة، والحسّ والحركة الإرادية".[5]

وجاء في تعريفها أيضاً: بأنها المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان، وبأنها اللطيفة التي هي الإنسان بالحقيقة.[6]

والمراد بتزكية النفوس: "إصلاح النفوس وتطهيرها؛ عن طريق العلم النافع، والعمل الصالح، وفعل المأمورات، وترك المحظورات".[7]

والتعريف الذي يختاره الباحث لدراسته "الهدايات التربوية في آيات

---

[1] سورة الشمس: آية ٩

[2] مفردات ألفاظ القرآن، ص٣٨٠-٣٨١.

[3] تفسير الطبري جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ص٥٥٨.

[4] التعريفات، ص٢٤٣.

[5] المرجع السابق، ص٢٣٩.

[6] إحياء علوم الدين، ، ص٥.

[7] معالم في السلوك وتزكية النفس، عبد العزيز بن محمد عبد اللطيف، ص٧٥.

تزكية النفوس": الإيحاءات واللطائف والمضامين التربوية؛ التي يستنبطها الباحث من بعض الآيات القرآنية التي وردت في موضوع تزكية النفوس، وتطهيرها، وتهذيبها.

ويتضمن البحث مبحثين اثنين:

أوّلهما: مكانة تزكية النفوس في التربية الإسلامية.

والمبحث الثاني: الهدايات التربوية في آيات تزكية النفوس، وفيه يذكر الباحث تسع هدايات، بعون الله وتوفيقه.

الدراسات السابقة:

١. **دراسة المقبل**[١] ٢٠٢٣م بعنوان: "**الهدايات القرآنية من خلال الحزب الأول من جزء عم ودورها في بناء الإنسان دراسة تحليلية"**، وتهدف إلى استخراج بعض الهدايات القرآنية من الحزب الأول من جزء عم وبيان أثر هذه الهدايات في بناء الإنسان، واستخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي الاستنباطي، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها: استخراج عدد من الإشارات القرآنية والتي تحتاج إلى مزيد قراءة، وتمحيص، وتنقيح.

٢. **دراسة دوكوري**[٢] ٢٠٢٠م بعنوان: "**الهدايات القرآنية في سورة هود من الآية ١ إلى الآية ١١ دراسة تطبيقية** "، وتهدف إلى بيان أحوال نزول سورة هود والاستعانة بها على فهم الآيات، وبيان سبل تحقيق هدايات الآيات، وأثر تحقيقها وبيان أساليبها وخصائصها، واستخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي الاستنباطي، من خلال قراءة ما كتبه المؤلفون عن الآيات الواردة في

---

[١] الهدايات القرآنية من خلال الحزب الأول من جزء عم ودورها في بناء الإنسان دراسة تحليلة، د. صالح بن عبد الرحمن بن محمد المقبل، جامعة المدينة العالمية، كلية العلوم الإسلامية، ماليزيا ٢٠٢٣م.

[٢] الهدايات القرآنية في سورة هود من الآية ١ إلى الآية ١١ دراسة تطبيقية، محمدو دوكوري بن محمود دوكوري، جامعة ماليا، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، ماليزيا، ٢٠٢٠م.

نطاق البحث، ومن أهم النتائج التي توصل إليها: أن اتباع السبل المذكورة يقود إلى تحقيق أهداف الهدايات فتؤتي أكلها، وتقود إلى سعادة الدارين، وأن من أهم طرق العلماء في الوصول لهدايات الآيات الرجوع إلى أصل اشتقاق الكلمة، والرجوع إلى أقوال السلف والقراءات القرآنية، وأن هدايات الآيات تميزت بعدة أساليب وخصائص.

٣. **دراسة محمد**[١] ٢٠١٩م بعنوان: **"تزكية النفس من خلال نصوص القرآن والسنة"**، وتهدف للوقوف على مفهوم تزكية النفس في اللغة والاصطلاح والقرآن الكريم، وأهدافه وثمرته في الدنيا والآخرة، واستخدمت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي بعرض المعلومات التي تتصل بتزكية النفس، ثم تحليله وفق ما يحقق أهداف الدراسة، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها: أهمية تزكية النفس بالقرآن والسنة.

٤. **دراسة زايد ومخلوف**[٢] ٢٠١٨م بعنوان: **"الهدايات القرآنية في قصة آدم عليه السلام"**، وتهدف إلى الكشف عن الهدايات القرآنية الكبرى من حكمة خلق الإنسان وصلاحه، وترشيد مساره على الوجه المطلوب لعمارة الأرض والاستخلاف فيها، وتنبيهه على خطوات الشيطان في إغوائه، وكيفية الثبات على الصراط المستقيم، وقد استخدم الباحثان في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي في جمع الآيات القرآنية المتحدثة عن الإنسان وصفاته ووظيفته، ومن ثم المنهج التحليلي لاستخلاص أهم هدايات القرآن الكريم المتعلقة بوظيفة الإنسان في ظل إمكاناته وطاقاته، وسبل النجاة من إغواء الشيطان وخطواته، ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحثان: أن بعض آيات قصة آدم عليه

---

(١) تزكية النفس من خلال نصوص القرآن والسنة، حنان محمد فضل المولى محمد، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدعوة الإسلامية ٢٠١٩م.

(٢) الهدايات القرآنية في قصة آدم عليه السلام، علي زين العابدين الحسيني سيد أحمد زايد، وحسام الدين مخلوف، مركز بحوث القرآن الكريم بجامعة ملايا، كوالالمبور، ماليزيا، ٢٠١٨م.

السلام في القرآن الكريم قد رسمت معالم الطريق لابن آدم في حياته، وبينت له دور الشيطان في مساره، كما احتوت على هدايات أساسية تعتبر بمثابة الدليل للإنسان في رحلة سيره إلى الرحمن.

٥. **دراسة الفاروقي**[١]٢٠١٧م بعنوان: **"مفهوم تزكية النفس وأهميتها في القرآن والسنة النبوية"**، وتهدف إلى بيان مفهوم تزكية النفس وأهميتها في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي لاستقراء النصوص الشرعية من الكتاب والسنة المتعلقة بموضوع البحث، والمنهج التحليلي لتحليل النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث: أن تزكية النفس ثابتة بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وأنها ليست شيئاً عارضاً أو هيناً في ميزان الإسلام، بل هي ركن ركين من أركانه، وشعبة عظيمة من شعبه، أرسل الله تعالى رسله، وأنزل كتبه، ليقوم العباد بتزكية نفوسهم وإصلاحها.

التعليق على الدراسات السابقة:

اتفقت الدراسة الحالية مع دراسة محمد ٢٠١٩م، ودراسة الفاروقي ٢٠١٧م في موضوعها الرئيس، حيث تبحث كل منهما في تزكية النفس وبيان أهميتها، واتفقت أيضاً مع دراسة المقبل ٢٠٢٣م، دراسة دوكوري ٢٠٢٠م، ودراسة زايد ومخلوف ٢٠١٨م، بكشف واستنباط الهدايات القرآنية. واختلفت في أن الدراسة الحالية تبحث في الهدايات التربوية من آيات تزكية النفوس، بينما دراسة المقبل٢٠٢٣م، بدراسة الهدايات القرآنية من خلال الحزب الأول من القرآنية،رها في بناء الإنسان دراسة تحليلية، ودراسة دوكوري ٢٠٢٠م بدراسة الهدايات القرآنية في سورة هود من الآية ١ إلى الآية ١١ دراسة تطبيقية، ودراسة زايد وخلوف ٢٠١٨م، بدراسة الهدايات القرآنية في قصة آدم

[١] مفهوم تزكية النفس وأهميتها في القرآن والسنة النبوية، محمد شهيد الإسلام الفاروقي، الكلية الجامعية الإسلامية العالمية بسيلانجور، معهد دراسات الحديث النبوي، ٢٠١٧م.

عليه السلام٠ واختلفت الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في منهجها باستخدام المنهج الوصفي وفق المدخل الاستنباطي في استخراج الهدايات التربوية من النصوص القرآنية، بينما دراسة المقبل٢٠٢٣م، ودراسة دوكوري٢٠٢٠م،استخدمتا المنهج الاستقرائي الاستنباطي، ودراسة محمد٢٠١٩م استخدمت المنهج الوصفي التحليلي بعرض المعلومات التي تتصل بتزكية النفس، ودراسة زايد ومخلوف٢٠١٨م، ودراسة الفاروقي٢٠١٧م استخدمتا المنهج الاستقرائي التحليلي.

المبحث الأول: مكانة تزكية النفوس في التربية الإسلامية

أولاً: أهمية تزكية النفس:

تهتم التربية الإسلامية بتنمية العبد في جميع جوانبه، ومختلف مكوّناته؛ الروح، والعقل، والجسد، والنفس، وتحقق لكل جانب حاجياته ونصيبه من التربية والتوجيه والتقويم.

وفي الوقت الذي تعاني فيه كثير من المجتمعات من مظاهر التيه، والفراغ الروحي، والبعد عن الله تعالى؛ تتأكد حاجة الخلق إلى العناية بتزكية النفوس، لأن الحياة لا تستقيم بدونها، ولا تنمو المجتمعات بغيابها.

ومن الدلائل على اهتمام التربية الإسلامية بمبدأ تزكية النفوس:

١. أن التزكية محور وهدف بعثة الأنبياء والرسل عليهم والسلام، فقد قال تعالى مخبراً عن مهمة نبيه إسماعيل عليه السلام، ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۝٥٥﴾[١] ،أي مقيماً لأمر الله على أهله، فيأمرهم بالصلاة المتضمنة للإخلاص للمعبود، وبالزكاة المتضمنة للإحسان إلى العبيد، فكمّل نفسه، وكمّل غيره، وخصوصاً أخص الناس عنده وهو أهله، لأنهم أحق بدعوته من غيرهم.[٢]

كما أخبر أن هدف بعثة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم هو تزكية أمته، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾[٣]

فرسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم جاءت لتحرير العقول من أغلال الوثنيات والعقائد الفاسدة، وتهذيب النفوس وتطهيرها من رجس المعاصي والخطايا.

---

(١) سورة مريم: آية ٥٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٤٩٦.

(٣) سورة الجمعة: آية ٢

٢. تفضّل الله على من طهّر قلبه، وإكرامه لمن زكّى نفسه، فهي هبةٌ وتوفيقٌ منه تعالى، كما في قوله عزّوجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾[١]

قال ابن القيم رحمه الله: فإن العبد إذا زكّى نفسه أو دساها؛ فإنما يزكيها بعد تزكية الله لها بتوفيقه وإعانته، وإنما يدسّيها بعد تدسية الله لها بخذلانه، والتخلية بينه وبين نفسه.[٢]

والمؤمن تزكّيه أعماله وترفعه عند ربّه، ولا يغترّ بعمله، ولا يلتفت إلى ثناء الخلق ومديحهم.

٣. أقسم الله في كتابه على فلاح من زكّى نفسه بستة عشر قَسماً، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾[٣] ولو أخبر المولى تعالى بأهمية أمر ومكانته لوجب علينا العناية والاهتمام به، فكيف إذا أقسم جل وعلا ستة عشر قسماً على عظم عاقبة تزكية النفس بالفوز والفلاح!

٤. إخبار الله جل وعلا بعظم الجزاء الدنيوي والأخروي للمتزكّين، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾﴾[٤] وقال تعالى ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾[٥] [٦]

---

(١) سورة النساء: آية ٤٩.
(٢) التبيان في أيمان القرآن، ابن قيم الجوزية، ص٣٦.
(٣) سورة الشمس: آية ١-١٠.
(٤) سورة الأعلى: آية ١٤.
(٥) سورة طه: آية ٧٦.
(٦) التزكية بالقرآن الكريم مفهومها، وأهميتها، وأركانها، طه عابدين وآخرون، ص٣٠-٣٤.

ثانياً: علاقة التزكية بالتربية الإسلامية:

لفظ التزكية أقرب الكلمات وأدلها على معنى التربية، بل تكاد التزكية والتربية مترادفتان في إصلاح النفس، وتهذيب الطباع، وشد الإنسان إلى أعلى، كلما حاولت المثبطات والهواجس أن تسف به وتعوج.

قال الإمام الطبري "التزكية تطهير الناس من الشرك وعبادة الأوثان، وتنميتهم وتكثيرهم بطاعة الله".(١)

وفي ذلك دلالة واضحة على أن التربية والتزكية عمليتان تستهدفان جلب الخير للإنسان، وإبعاد الشر عنه، و"حين يقوم إنسان ما بالرعاية والتوجيه لآخر صغير أو عاجز، يصح القول بأنه يربيه ويزكيه معاً، ويمكن القول عندها أن التربية هي نوع من التزكية للإنسان، بمعناها المادي العملي والمعنوي والأخلاقي".(٢) فالتربية السليمة ترتكز على التزكية، وتستقيم بها، والتزكية العمود الفقري للتربية وأساسها.

فالعلاقة بين التربية والتزكية تكاملية على صعيد الدور الاجتماعي للإنسان المسؤول، في كون التزكية دور اجتماعي يقوم به الإنسان الصالح المصلح في علاقته بالآخرين في مجتمعه، الذي يحتم عليه القيام بالدورين، فيكون مربياً ومزكياً تجاه غيره من الناس، تبعاً لسن ورشد من يتعامل معهم في مجتمعه الذي يعيش فيه، حيث مسؤوليته في التربية أن يقوم بالرعاية والتربية للصغار والضعفاء.(٣)

والتزكية فعل مستمر مع الإنسان في جميع مراحله العمرية، يقوم أولا على مسؤولية الإنسان عن نفسه، ومصيره الشخصي، ومسؤوليته تجاه من يعيش معهم في أسرته، ومجتمعه، وأمته، وعالمه الإنساني.

---

(١) تفسير الطبري جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ص٥٥٨.
(٢) صلاحية مصطلح التزكية الإنسانية، سمر بنت محمد ناصر العريفي، ص٢٨.
(٣) المرجع السابق، ص٢٩.

المبحث الثاني: الهدايات التربوية في آيات تزكية النفوس:

إن الاهتداء بمنهج السلف الصالح رحمهم الله في تدبر كتاب الله، وتأمل آياته، واستخراج كنوزه ومعارفه؛ يجلي للقارئ الكثير من الهدايات والمعاني التي لا تتكشف من تلاوة عابرة، وقراءة عاجلة.

وفي آيات تزكية النفوس هدايات تربوية، وإضاءات إرشادية؛ منها:

١- زكاة النفوس فضل من الله ورحمة منه:

صلاح العبد واستقامته على الحق؛ نعمة من المولى تعالى عليه، يذكّره بها في قوله: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾[١]

قال الشنقيطي "بيّن-جل وعلا- في هذه الآية أنه لولا فضله ورحمته، ما زكا أحد من خلقه، ولكنه بفضله ورحمته يزكي من يشاء تزكيته من خلقه، ويفهم من الآية أنه لا يمكن أحداً أن يزكي نفسه بحال من الأحوال.. والزكاة في هذه الآية: هي الطهارة من أنجاس الشرك، والمعاصي. وقوله: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ﴾ أي: يطهّره من أدناس الكفر والمعاصي، بتوفيقه وهدايته إلى الإيمان والتوبة النصوح، والأعمال الصالحة"[٢].

وإن إدراك المسلم لهذا المعنى، ووعيه بهذه الهداية؛ يرسّخ لديه حاجته العظمى إلى كرم الله جل وعلا، وعدم استغنائه عن مولاه في كل أحواله، فلولا فضل الله عليه ورحمته به وإحسانه إليه؛ لما اهتدى لتوحيد الله وعبادته، ولما وُفّق لما اصطفاه به ربه دون غيره من الكائنات والأحياء.

قال الطبري: "ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته لكم؛ ما تطهر منكم من أحد أبداً من دنس ذنوبه وشركه، ولكن الله يطهر من يشاء من خلقه" [٣].

---

(١) سورة النور: آية ٢١.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، ١٧٧/٦.

(٣) تفسير الطبري، ١٣٥/١٩.

ويقين المسلم بهذا المبدأ يزيده تواضعاً لله في أعماله وقرباته، وافتقاراً إليه في جميع أحواله، ورقابة دائمة لقلبه وجوارحه، وعناية مستمرة بتصحيح نيّته وقصده، ويجعله في جهاد لنفسه على طاعة ربه، ومثابرة مستمرة في التقرّب إليه، والبذل والعطاء لشكر آلائه، وبلوغ مرضاته.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (سَدِّدُوا وقارِبُوا، وأَبْشِرُوا، فإنَّه لَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ أحَدًا عَمَلُهُ قالوا: ولا أنْتَ؟ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: ولا أنا، إلَّا أنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ منه برَحْمَةٍ، واعْلَمُوا أنَّ أحَبَّ العَمَلِ إلى اللهِ أدْوَمُهُ وإنْ قَلَّ) (١).

كما تؤكّد هذه الهداية على أن من أجلّ المنح الربانية على العبد أن يُهدى لزكاة نفسه، وأن يوفّق لطهارة قلبه، وصلاح عمله، واستقامة سلوكه.

وذلك حال أهل الجنة ومآلهم، حين يستشعرون فضل الله عليهم في دار الكرامة والنعيم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (٢).

٢- الله غنيٌّ عن صلاح الخلق وزكاتهم:

إن من مظاهر عظمة الله تعالى وجلاله وكبريائه؛ استغناءه عن كل الكائنات والموجودات، فلا يحتاج إلى أحد من خلقه، وهو الغنيّ عن كل أحد، لا تنفعه طاعة مطيع، ولا تضرّه معصية عاصٍ، قال جل جلاله:﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾(٣)، فلكمال رأفة

(١) أخرجه البخاري (٦٤٦٤)، ومسلم (٢٨١٨)، واللفظ لمسلم.
(٢) سورة الأعراف: آية ٤٢-٤٣.
(٣) سورة الزمر: آية ٦.

الله بعباده يحبّ الطاعة منهم، لإكرامهم والتفضّل عليهم، وحين يهتم المسلم بزكاة نفسه وتطهيرها من الرجس والآثام؛ فإنه يقودها بذلك إلى رضوان الله وجناته، قال تعالى: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦٓ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾[1]

إنها قاعدة قرآنية عظيمة، تقرر مبدأ العدل الإلهي بين الخلق، وتبث فيهم روح العمل والجدّ والاجتهاد، وتُعظم المسؤولية والتبعة على العبد.قال الطبري في تعليقه على الآية: "ومن يتطهّر من دنس الكفر والذنوب بالتوبة إلى الله، والإيمان به، والعمل بطاعته؛ فإنما يتطهّر لنفسه، وذلك أن يثيبها به رضا الله، والفوز بجنانه، والنجاة من عقابه الذي أعده لأهل الكفر به".[2]

وكل نفسٍ رهينة بما تكسب في هذه الحياة، والجزاء من جنس العمل؛ وقد أخبر جل وعلا في أكثر من آية بقوله﴿ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [3]، إنه جل وعلا يجازي عباده بالقسط، ويحاسبهم بالعدل، وأكثر الناس ربحاً، وأعظمهم غنماً؛ أحسنهم تزكية لنفسه، وأصدقهم في تطهيرها، وأصوبهم في سياستها ورعايتها.

إنها "دعوة من الله تعالى للناس إلى تزكية النفوس، وتطهيرها من كل سوء، بعد بيان أن كل نفس مسؤولة وحدها عن نتائج أفعالها، وأن أحداً لن يلبي طلب غيره في أن يحمل شيئاً عنه من أوزاره".[4]

٣- تزكية النفوس وظيفة الأنبياء والمصلحين:

لقد تتابعت أنبياء الله ورسله الكرام على العناية بتطهير النفوس وإصلاحها، وكانت محور رسالتهم، وهدف بعثتهم، ومن وصايا المولى تعالى لنبيه موسى

---

(١) سورة فاطر: آية ١٨.

(٢) تفسير الطبري، ٤٥٦/٢٠.

(٣) سورة الإسراء: آية ١٥.

(٤) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ص٣٤٠.

عليه السلام حين أرسله إلى فرعون ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾[1]، وأخبر أن هدف بعثة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم تطهير النفوس من قبائح الأفعال، ورذائل الأخلاق، وذميم الخصال، ويغرس فيها صفاء التوحيد، وفاضل الأخلاق، وحميد الآداب، قال تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾[2]، وقال سبحانه ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾[3].

كما امتن على المؤمنين بأن الرسول المبعوث إليهم هو من يقوم بتزكيتهم، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾.[4] قال ابن القيم رحمه الله: "فإنّ تزكية النُّفوس مسلَّمٌ إلى الرُّسل صلوات الله وسلامُه عليهم، وإنّما بعثَهم الله لهذه التّزكية ووكَّلهم إيّاها، وجعلَها على أيديهم دعوةً وتعليمًا وبيانًا وإرشادًا، لا خَلقًا ولا إلهامًا، فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم ... فالرُّسل أطبّاءُ القلوب، فلا سبيل إلى صلاحها وتزكيتها إلّا على أيديهم، وبمحض الانقيادِ والتّسليم لهم".[5]

والهدي الذي ينهجه أرباب التربية والإصلاح؛ أن يسلكوا مسلك الرسل والأنبياء عليهم السلام؛ في العناية بأعمال القلوب عامة، وتطهير النفوس وتزكيتها على وجه الخصوص، وتربية الخلق على تخليص النية وتجريدها لله

---

(١) سورة النازعات: آية ١٨.
(٢) سورة الجمعة: آية ٢
(٣) سورة البقرة: آية ١٥١.
(٤) سورة آل عمران، آية ١٦٤.
(٥) مدارج السالكين في منازل السائرين، ٤٦/٣.

وحده، والحذر التام من محبطات الأعمال، وشوائب الشرك والرياء، ولا يقدّم على هذا المقصود أيّ هدف أو مقصد، فخير الهدي هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

٤- تزكية النفوس من أجلّ صفات أهل الإيمان:

بشّر الله تعالى عباده المؤمنين بالفلاح، مؤكّدا تلك البشارة بصيغة الماضي وأداة التأكيد، ووعدهم بميراث المنازل العلى في الجنة، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾[1] .

وفي صفات أولئك المفلحين قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾، وقد ذهب طائفة من أهل العلم إلى أن المراد بالزكاة في الآيات: زكاة النفوس، قال السعدي في تفسيره: "هذا تنويه من الله بذكر عباده المؤمنين، وذكر فلاحهم وسعادتهم، وفي ضمن ذلك الحث على الاتصاف بصفاتهم، والترغيب فيها، فقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾، أي قد فازوا وسعدوا ونجحوا، وأدركوا كل ما يرام المؤمنون الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ... ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾، أي مؤدون لزكاة أموالهم على اختلاف أجناس الأموال، مزكين لأنفسهم من أدناس الأخلاق ومساوئ الأعمال التي تزكو النفس بتركها وتجنبها، فأحسنوا في عبادة الخالق، في الخشوع في الصلاة، وأحسنوا إلى خلقه بأداء الزكاة".[2]

ولأن تزكية النفوس هي الأساس في تحقيق العبودية لله تعالى، وهي ركيزة السير إلى الله؛ لأجل ذلك تواترت وتضافرت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية؛ في

---

[1] سورة المؤمنون: آية ١-١١.

[2] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٥٤٧.

العناية والاهتمام بمقصد تزكية النفس، وتفضيله على كثير من المطالب والفضائل، وفي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ألا وإن في الجسد مضغة؛ إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[١] رواه مسلم.

فأولى أولويات المؤمن، ورأس اهتماماته، وأسّ همومه؛ في إصلاح المضغة وتهذيبها، وصونها من كل شائبة أو دخن.

ومن الأدعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "اللهم آتِ نفسي تقواها، وزَكِّها أنت خيرُ من زَكَّاها، أنتَ وليُّها ومولاها".[٢]

وفي هذا الدَّعاء إشارة وتنويه إلى أن تزكية النفوس بيد الله سبحانه وتعالى علاّم الغيوب، وأن مفتاحها الأعظم هو الدعاءُ والافتقار إلى الله تعالى، وأنها من أعظم مطالب المؤمنين، وأسمى مقاصدهم، لأنهم يوقنون أن الفلاح والنجاة بزكاة النفوس وطهارة القلوب

٥- تزكية النفوس بفعل الطاعات واجتناب المعاصي:

شرع المولى تعالى التكاليف الشرعية رحمة بالعباد، ولطفاً بهم، وإصلاحاً لأحوالهم، قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[٣]، وجعل زكاة النفوس وصلاحها واستقامتها من أجلّ ثمار الاستجابة للتكاليف الشرعية، والانقياد للأحكام الربانية.

والسمع والبصر من أعظم نعم الله على عباده، وقد أمر الشارع بحفظهما وصيانتهما، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾[٤] والأمر بغض البصر وحفظه تتزكى به النفوس من أدران الفواحش، ويحمي المجتمعات من انتشار الرذائل، ومساوئ الانحلال والفساد،

---

(١) صحيح مسلم، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم الحديث ١٥٩٩.
(٢) صحيح مسلم، باب التعوذ من شر ما عمل وشر ما لم يعمل، رقم الحديث٢٧٢٢.
(٣) سورة الملك: آية ١٤.
(٤) سورة الإسراء: آية ٣٦.

قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1]

قال ابن كثير في تفسير الآية: "هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم، فلا ينظرون إلا إلى ما أباح الله النظر إليه، وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم، فإن وقع البصر على محرم من غير قصد، فليصرف بصره عنه سريعاً".[2] وقال الغزالي: "وأما العين فيحفظها عن النظر إلى وجه من ليس له بمحرم، أو عورة مسلم، أو النظر إلى مسلم بعين الاحتقار، بل عن فضول الكلام، ثم إذا صرفها عن هذا لم تقنع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها، وهو ما خلقت له من النظر إلى عجائب صنع الله بعين الاعتبار، والنظر إلى أعمال الخير للاقتداء، والنظر في كتاب الله وسنة رسوله، ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ، والاستفادة".[3] ويحفظ المسلم سمعه ويزكّيه؛ فلا يستمع به إلى بهتان، أو زور، أو غيبة، أو نميمة، أو غير ذلك من المحظورات، ويسخّر سمعه لما يحبه الله ويرضاه، كما أثنى الله تعالى على طائفة من أهل الكتاب بقوله ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ ﴾[4]

كما يحفظ المسلم بصره ويزكّيه؛ بصيانته عن النظر إلى المحرمات والعورات؛ لأن في إطلاق البصر ضررا كبيرا على الإنسان والمجتمع، وقد زكى الله تعالى بصر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ قال تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾[5]

وهكذا الشأن في سائر الأوامر والنواهي؛ حين يمتثل المسلم أمر الله تعالى ويستجيب له، ويترك المنهي ويتنزه عنه، يؤدي ذلك محبة ورغبة، قبولاً وانقياداً؛ فيثمر ذلك زكاة في نفسه، وطهارة في قلبه، وزيادة في إيمانه،

---

(١) سورة النور: آية ٣٠.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ص٤١.
(٣) إحياء علوم الدين، ص٣٩٥.
(٤) سورة القصص: آية ٥٥.
(٥) سورة النجم: آية ١٧.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[1]

٦- تزكية النفوس سبب للفلاح والنجاح في الدارين:

عناية المسلم بقلبه يعود عليه بالنفع العظيم في العاجل والآجل، وتتوالى عليه المنح الربانية، والأعطيات العلوية؛ رسوخاً في إيمانه، وأُنساً في قلبه، وسكينة في صدره، وقوة في بدنه، وطمأنينة في نفسه، وغير ذلك من النفحات والهبات، مع ما يدّخره الله له في دار الفوز والبقاء.

وقد استُهلت سورة الشمس بأطولِ قسمٍ في القرآن؛ حيث أقسم ربنا أحد عشر قسما متتابعاً، جاء في جواب القسم أن فلاح النفس لا يكون إلا بتزكيتها، قال تعالى: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[2]

وقال عز وجل: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾[3] قال البغوي في تعليقه على الآيات: "﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ وهذا موضع القسم، أي: فازت وسعدت نفس زكاها الله، أي أصلحها وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة. ﴿ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾: أي خابت وخسرت نفس أضلها الله فأفسدها. وقال الحسن: معناه قد أفلح من زكى نفسه فأصلحها وحملها على طاعة الله عز وجل، "وقد خاب من دساها" أهلكها وأضلها وحملها على المعصية، فجعل الفعل للنفس ".[4]ولأن النفس الإنسانية قد ألهمت فجورها وتقواها؛ فقد جاء التوجيه الرباني بتهذيبها وتطهيرها، والثناء على من زكاها وأصلحها، وذمّ من دنّسها بالذنوب وأغواها.

---

(١) سورة الرعد: آية ٢٨.

(٢) سورة الشمس: آية ٩-١٠.

(٣) سورة الأعلى: آية ١٤.

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي، ٤٣٩/٨.

وقاعدة الجزاء الرباني لا تتخلف ولا تتغير، فالمحسن يُجازى بإحسانه، والمسيء مستحق للعذاب بسيئاته، وأهل الزكاة والخشية من ربهم هم أكثر الخلق سعادة وأُنساً وهناءة، فالمولى تعالى يكرم من زكى نفسه في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[1].

قال السعدي في تفسير الآية: " ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ ﴾، وذلك بطمأنينة قلبه، وسكون نفسه، وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه، ويرزقه الله رزقا حلالا طيبا من حيث لا يحتسب ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ ﴾ في الآخرة ﴿ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾من أصناف اللذات؛ مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فيؤتيه الله في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة".[2]

وبرهان هذه الحقيقة ظاهر في أحوال السلف الصالح وحياتهم؛ فكثير منهم لم يدرك من متاع الدنيا الظاهر إلا القليل، بل عاش أكثرهم في حاجة وفاقة، وقلة ذات يد، ومع ذلك كانوا يتلذذون بأعظم نعيم الدنيا ومتاعها.

٧- الغاية من عبودية الجوارح تطهير القلوب وتزكيتها:

تهدف العبادات والفرائض في الإسلام إلى تهذيب المسلم بالفضائل والمحامد، وتطهيره عن المساوئ والقبائح، فالصلاة أعظم الشعائر التعبدية لزجر فاعلها عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾[3]، وإخراج الزكاة لتطهير صاحبها، وتهذيبه بأدائها، قال تعالى﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾[4]،

---

(١) سورة النحل: آية ٩٧.

(٢) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن، ص ٤٤٨.

(٣) سورة العنكبوت: آية ٤٥.

(٤) سورة التوبة: آية ١٠٣.

والزكاة هي اسم لما يخرجه الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء، وسميت زكاة لما يكون فيها من رجاء البركة، وتزكية النفس وتنميتها بالخيرات، فإنها مأخوذة من الزكاة، وهو النماء والطهارة والبركة.

ولا ريب أن للزكاة دورًا في تزكية النفس؛ ذلك أنها تدرب الإنسان على قهر نفسه وقمع شهواتها، وأطرها على إجابة أمر الله، وتهذيبها أمام شهوة حب المال، بل يتعدى دور الزكاة إلى تزكية وتطهير نفوس المحتاجين من الحقد والحسد، والمقاربة بين نفوس المؤمنين، فيحلّ التحابّ والتوادّ محل البغضاء والكراهية، وذلك من حكم وأسرار فريضة الزكاة.

قال ابن تيمية رحمه الله: وأما التزكية فهي تحصل بطاعته فيما يأمرهم به من عبادة الله وحده ... وقوله خذ من أموالهم دليل على أن عمل الحسنات يطهر النفس، ويزكيها من الذنوب السالفة، فالتوبة والعمل الصالح يحصل بهما التطهير، والتزكية، والورع، والعبادة.[1]

٨- ذمّ الإعجاب بالنفس والغرور بطاعاتها:

إذا زكت النفوس وطهرت، نسبت الفضل والمنّة لله وحده، وصار من دلائل زكاتها، وحسن استقامتها؛ أن تحذر كل الحذر من العجب بالعمل، والغرور بالطاعة، قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ۝٣٢﴾[2]، وقال جل وعلا: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ۝٤٩﴾[3]،

فنهى الله عزوجل عن مدح النفس بما يدل على زكاتها وصلاحها، لأن التقوى محلها القلب، والله عزوجل هو أعلم بمن أتقى، ولأن مدح النفس سبب لدخول العُجبِ عليها، وسببٌ للرِّياء الذي هو محبط للأعمال.

---

(١) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، أحمد بن تيمية، ص٦٨.

(٢) سورة النجم: آية٣٢

(٣) سورة النساء: آية ٤٩

وكلما اجتهد العبد في فعل الصالحات واجتناب المحرمات؛ ازداد شعوره بعظم حق الله عليه، واستحالة وفائه بنعمه، وشكره على إنعامه وإحسانه.

وهذا الصديق أبو بكر رضي الله عنه، لمّا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمه دعاءً يدعو الله به في صلاته، علّمه صلى الله عليه وسلم أن يقول: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أن الغفور الرحيم.[1]

إن تحذير الشارع الحكيم من مدح المرء نفسه، والثناء عليها، وتعداد حسناته وطاعاته؛ يربّيه على التواضع لله تبارك وتعالى، واستشعار رقابة الله وقربه واطّلاعه، وترسيخ حاجته إلى رحمته وفضله وإحسانه، والحذر مما يحبط عمله، ويضيع أجره، من إعجاب بنفسه، واغترار بطاعته، واجتناب مسلك أهل الكتاب الذين قالوا عن أنفسهم، ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[2].

ويدخل في هذا الباب تحذير المسلم من تزكية غيره؛ لئلا يفتن أخاه بذلك، فيصير به إلى التعاظم والغرور، ويقطع عنق أخيه بمدحه والثناء عليه.

عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه قال: مدح رجل رجلاً عند النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: "ويلك! قطعت عنق صاحبك – مراراً – إذا كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة فليقل: أحسب فلانا – والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحداً – أحسبه كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك.[3]

٩- التخلية قبل التحلية:

حقيقة التزكية تبدأ بتخلية النفس أولاً، وتطهيرها عن الرذائل والمعاصي والذنوب، ثم تحليتها بعد ذلك بفعل الطاعات والقربات، كما قال الله تعالى:

---

[1] صحيح البخاري، باب الدعاء قبل السلام، رقم الحديث ٧٩٩.

[2] سورة المائدة: آية ١٨.

[3] صحيح البخاري، باب: إذا زكى رجل رجلا كفاه، رقم الحديث ٢٥١٩.

﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ ﴿١٠٣﴾ ﴾[1]

فقوله تعالى: ﴿ تُطَهِّرُهُمۡ ﴾: فيه إشارة إلى مقام التخلية عن السيئات بتطهيرهم من الذنوب، وقوله تعالى: ﴿وَتُزَكِّيهِم ﴾: فيه إشارة إلى مقام التحلية بالفضائل والحسنات، وتقديم التطهير على التزكية من باب تقديم التخلية على التحلية.

قال ابن تيمية رحمه الله: فالتزكية وإن كان أصلها النماء، والبركة، وزيادة الخير، فإنما تحصل بإزالة الشر، فلهذا صار التزكّي يجمع هذا وهذا.[2].

وتطهير الوعاء من الدنس، وتفريغه من الأوساخ؛ يساعد على ملئه بالمطهّرات والمنقيات، وضمان سلامته من الشوائب الفاسدة الملوّثة.

وكذا الحال في تربية القلب وصيانته، قال ابن عثيمين: "ووجه كون التخلية قبل التحلية؛ أن التحلية إذا وردت على محل غير نظيف، صارت ناقصة متلوثة، فأنت طهّر المحل أولًا، ثم حلِّه ثانيًا، وهكذا كلمة الإخلاص؛ (لا إله) نفي، (إلا الله) إثبات، الأول تخلية، والثاني تحلية" [3].

والذنوب والخطايا تلوث القلب وتفسده، وتضعف إيمان المرء وتنقصه، وتوهن من محبة الله وتعظيمه لدى فاعلها. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا أذنبَ العبدُ نُكِتت في قلبِهِ نُكتةٌ سوداءُ، فإن تابَ ونزعَ واستغفرَ صُقِلَ قلبُهُ، وإن زادَ زيد فيها، حتى يعلو قلبَهُ، فذلِكَ الرَّانُ الَّذي قال اللَّهُ تعالى (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبون".[4]

قال السعدي رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ﴾. أي بالإيمان والعمل الصالح، بالتخلي عن الأخلاق الرذيلة،

والتحلي بالصفات الجميلة.[5]

---

[1] سورة التوبة: آية ١٠٣.

[2] مجموع فتاوى ابن تيمية، أحمد بن تيمية، ١٠/ ٩٧.

[3] تفسير القرآن الكريم (سورة غافر)، محمد بن صالح العثيمين، ص ٤٦٠.

[4] سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، ص٣٥٩.

[5] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص١٨٢.

فلا بد لمن أراد تزكية نفسه أن يقلع أولاً عن الذنوب والآثام التي تفسد القلب، وتحجب عنه نور الهداية والإيمان، وأن يُنمّي فطرة الخير فيها، حتى تستقيم على أمر الله، وتستجيب لشرعه وحكمه، ويجاهد نفسه على الاستكثار من الصالحات التي تزكو بها نفسه،

كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[1]

وهذا المعنى القرآني الجليل يهدي المربي إلى أهمية تفريغ الوعاء قبل تعبئته، وضرورة العمل على صيانة القلب من الباطل والظلمات لتهيئته لقبول الحق والنور.

[1] سورة العنكبوت: آية٦٩.

خاتمة البحث

العيش مع كلام الله تعالى، وتدبّر آياته، والتأمل في مقاصده؛ من أعظم وأجلّ نعم الله وإحسانه، وقد تكرّم تبارك وتعالى بالوقوف مع طائفة من الآيات الكريمات في موضوع تزكية النفوس، والعمل على استنباط شيء من هداياتها التربوية، ودلالاتها الإيمانية، فله الحمد والفضل والمنّة.

وقد خرج البحث بعدد من النتائج والتوصيات، من أهمها:

النتائج:

١. القرآن الكريم المنهاج الرباني الأكمل في بناء أخلاق الإنسان، والغاية من إنزال كلام الله تزكية النفوس وتطهيرها من المعاصي والآثام.

٢. لولا فضل الله على العبد، ورحمته به وإحسانه إليه؛ لما اهتدى لتوحيد الله وعبادته، ولما وُفّق لما اصطفاه به ربه دون غيره من الكائنات والأحياء.

٣. زكاة النفس سبب للهداية والثبات على الحق، وأعظم مقاصد الشرائع التعبدية السموّ بالنفوس، وارتقاؤها في منازل العبودية لله.

٤. تزكية النفوس هي الوظيفة الجليلة لأنبياء الله ورسله، والله تعالى غنيٌّ عن صلاح الخلق واستقامتهم.

٥. من دلائل زكاة النفس وطهارتها، وحسن استقامتها؛ أنها تحذر كل الحذر من العجب بالعمل، والغرور بالطاعة.

٦. عمل الحسنات يطهر النفس ويزكيها من الذنوب السالفة.

٧. تخلية القلوب من الدخن يسبق تحليتها وتزكيتها بنور الوحي.

التوصيات:

١- الواجب على أرباب التربية والإصلاح، أن يسلكوا مسلك الرسل والأنبياء؛ في العناية بأعمال القلوب عامة، وتطهير النفوس، وتزكيتها على وجه الخصوص.

٢-التأكيد على المربّين والمصلحين بأهمية العناية بتزكية النفوس في الخطاب التربوي والدعوي المعاصر.

٣-ضرورة تكثيف المؤسسات التربوية والتعليمية الجهود والبرامج في أهداف تربية القلوب وتزكية النفوس، والحاجة إلى تنويع الوسائل وتحديث الأساليب في تحقيق هذه الأهداف السامية.

المصادر والمراجع

١. إحياء علوم الدين، ابي حامد الغزالي، دار الكتب العصرية، بيروت، ١٩٩٩م.
٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار عطاءات العلم، الرياض، ١٣٩٣م.
٣. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد الرزاق الحسيني، دار الهداية، د.ت.
٤. التبيان في أيمان القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، دار عطاءات العلم، الرياض، ٢٠١٩م.
٥. تزكية النفس من خلال نصوص القرآن والسنة، حنان محمد فضل المولى محمد، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدعوة الإسلامية، ٢٠١٩م.
٦. التزكية بالقرآن الكريم مفهومها، وأهميتها، وأركانها، طه عابدين وآخرون، معالم الهدى للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠١٧م.
٧. التعريفات، أبو الحسن علي الحسيني الجرجاني الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
٨. تفسير الألوسي روح المعاني، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.
٩. تفسير الطبري جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ١٩٨٥م.
١٠. تفسير القاسمي محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد الحلاق القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
١١. تفسير القرآن الحكيم، تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، ١٩٩٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٢. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.
١٣. تفسير القرآن الكريم (سورة غافر)، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٣٧هـ، ط١.

١٤. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٤٦م.
١٥. التفسير الوسيط لطنطاوي، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.
١٦. تهذيب اللغة، محمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
١٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠م.
١٨. الجامع الكبير سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦م.
١٩. دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٩٨٤م.
٢٠. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار اليمامة، دمشق، ١٩٩٣م، ط٥، ت: د مصطفى البغا.
٢١. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٥م، ت: محمد عبد الباقي.
٢٢. صلاحية مصطلح التزكية الإنسانية، سمر بنت محمد ناصر العريفي، جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠٠٣م.
٢٣. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.
٢٤. اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين الدمشقي النعماني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.
٢٥. لسان العرب، محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، دار صادر بيروت، ١٩٩٣م.
٢٦. مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ٢٠٠٤م.
٢٧. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٥م.

٢٨. مدارج السالكين في منازل السائرين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، دار عطاءات العلم، الرياض، ٢٠١٩م.
٢٩. المرشد في كتابة البحوث التربوية، عبد الله فوده، وآخرون، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ١٩٨٧م، ط ١.
٣٠. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الهروي القاري، دار الفكر بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.
٣١. معالم في السلوك وتزكية النفس، عبد العزيز بن محمد عبد اللطيف، دار الوطن، ١٩٩٣م.
٣٢. مفهوم تزكية النفس وأهميتها في القرآن والسنة النبوية، محمد شهيد الإسلام الفاروقي، الكلية الجامعية الإسلامية العالمية بسيلانجور، معهد دراسات الحديث النبوي، ٢٠١٧م.
٣٣. الهدايات القرآنية، دراسة تأصيلية، مجموعة مؤلفين، عمادة البحث العلمي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط٢، (د، ت).
٣٤. الهدايات القرآنية في سورة هود من الآية ١ إلى الآية ١١ دراسة تطبيقية، محمدو دوكوري بن محمود دوكوري، جامعة ماليا، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، ماليزيا، ٢٠٢٠م.
٣٥. الهدايات القرآنية في قصة آدم عليه السلام، علي زين العابدين الحسيني سيد أحمد زايد، وحسام الدين مخلوف، مركز بحوث القرآن الكريم بجامعة ملايا، كوالالمبور، ماليزيا، ٢٠١٨م.
٣٦. الهدايات القرآنية من خلال الحزب الأول من جزء عم ودورها في بناء الإنسان دراسة تحليلية، د. صالح بن عبد الرحمن بن محمد المقبل، جامعة المدينة العالمية، كلية العلوم الإسلامية، ماليزيا ٢٠٢٣م.